المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد/ العدد: (2022)، ص174 -ص 194

خطاب الكراهية السياسية على منصّة التواصل الاجتماعي "فيسبوك" في تونس:
بلاغة التحريض والاستقطاب (مقاربة معجمية حجاجية)

Political hate speech on Facebook social networking platform in Tunisia: Rhetoric of incitement and polarization (lexical and argumentative approach)

شهيرة بن عبد الله *

*معهد الصحافة وعلوم الإخبار (تونس) ، chahirabenabdallah@gmailcom

تاريخ الاستلام: 2022/04/21 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/09/30

Doi; 10.53284/2120-009-003-011

الملخص

حاولنا في هذه الدراسة مقاربة الكراهية كعاطفة سياسية ورصد مؤشرات حضورها اللغوية والبلاغية وفهم رهاناتها الحجاجية لمعاينة مدى كفاءتها الإنجازية وقوّتها التحريضية ارتباطا بسياق الاستقطاب السياسي الذي تعيشه تونس منذ إعلان الرئيس "قيس سعيّد" عن إجراءات 25 جويلية 2021 . وكشفنا عن التقنيات اللغوية والمعجمية والحجاجية الدالّة على الكراهية في خطابات "العشائر الإلكترونية" المناصرة والمعارضة لمشروع الرئيس "سعيّد" وعن المسارات والمعاني الاستقطابية التي وجّهت إليها.

ورصدنا كيف تتحوّل اللغة الواصفة للآخر، في صفحتي الفيسبوك اللتين اشتغلنا عليهما، إلى لغة واصمة وكيف تنطق لغة الصورة، في مستوييها التعييني والتضميني، بالكراهية وتمارس التشويه والتقبيح. وتوصّلنا إلى أنّ معاجم الكراهية في كلا الخطابين تكشف عن الطبيعة الاختزالية التنميطية لخطاب الكراهية الذي لا يتجلى دائما في شكله الصريح ويعدّ السياق عاملا مهمّا في كشفه، وهو بذلك خطاب منفلت من رقابة تقنيات الذكاء الاصطناعي ويصعب على خوارزميات الفيسبوك الإمساك بمعانيه وكشف آلياته التحريضية قصد تحجيمه. واستنتجنا أنّ التحريض على الكراهية في خطاب الصفحات الفيسبوكية ليس إلّا امتدادا لعبارات الكراهية وتصنيفاتها التي يستخدمها السياسيون في خطابهم السياسي.

كلمات مفتاحية: خطاب الكراهية، الاستقطاب العاطفي، التحريض، فيسبوك، العشائر الإلكترونية

Abstract

In this study, we have tried to approach hatred as a political emotion, to observe its linguistic and rhetorical indicators, and to understand its argumentative purposes, with an eye to examining its performativity and its inciting power in connection with the context of political polarization in Tunisia since President Kais Saied announced the July 25 measures. We have monitored the linguistic, lexical and argumentative techniques indicating hate in the speeches of "electronic clans" both supporting and opposing the project of President "Sayed" as well as its polarizing steps and meanings.

We observed how the language describing the other, turns into a stigmatizing language and how the image's language, occults hate and practices distortion and ugliness. We found that the lexicography of hate in both discourses reveal the stereotypical reductionist nature of hate speech, which is not always manifested in its explicit form, and we concluded that incitement in hate speech on Facebook is an extension of the hate expressions and categories used by politicians in their political discourse.

Keywords: hate speech, affectif polarization, incitement, facebook, electronic clans.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لئن أتاح المجتمع الرقمي لمستخدميه فرصا متساوية في المشاركة والحوار وإنتاج المحتوى ووفّر لهم مجالاً عاماً افتراضياً يسمح لهم بالاحتجاج والحشد الاجتماعي والتداول حول قضايا الشأن العام، فإنّه لا يمكن إغفال ما قد تسبّبه بعض الممارسات الرقمية في رحاب هذا الفضاء من تشويه للحياة الديمقراطية.

ويعدّ خطاب الكراهية أحد الأخطار أو "الآثار الجانبية" لاستخدامات الميديا الرقمية، إلى جانب التضليل ونشر الإشاعات والأخبار الكاذبة. وهو ما يطرح اليوم على المختصّين في حقل علوم الإعلام والاتصال مقاربة الميديا الرقمية بوصفها عاملا من عوامل تكريس الاستقطاب السياسي والايديولوجي الذي يمثّل التحريض على الكراهية تجلّيا من تجلّياته.

ويمثّل سياق الأزمات أرضية خصبة لانتشار خطاب الكراهية والعنف تحت تأثير مزاج عامّ غاضب يجعل "الذهن العصبوي" (1) ينفلت من عقاله ليتجلّى بكثافة في المحتوى الرقمي، فينشط بذلك الاغتيال الرمزي الافتراضي للآخر ويتكثّف نشاط "الذباب الإلكتروني" **electronic flies** (2) عبر الصفحات والحسابات المزيّفة على مواقع الشبكات الاجتماعية التي تتحوّل إلى ساحات حرب سلاحها الأخبار الزائفة والتحريض على الكراهية وهدفها التعبئة والاستقطاب والتوجيه.

وقد انتعشت خطابات التكاره والذمّ والقدح والتشهير والتخوين والتكفير، في سياق الاستقطاب السياسي الحادّ الذي تعيشه تونس منذ عام 2011، و"تمدّدت" هذه الخطابات من فضاء الواقع إلى الفضاء الافتراضي ومن دائرة السياسي الى دائرة المواطن.

وانتقل، في الآونة الأخيرة، ما عرفه المشهد السياسي من تجاذبات وتقاطبات إلى فضاء الفيسبوك بشكل لافت، منذ إعلان الرئيس "قيس سعيّد" في 25 جويلية 2021 عن جملة من التدابير التي سمّاها ب"الاستثنائية". فقد أنشئت عديد الصفحات المساندة لهذه التدابير وأخرى معارضة لها لينقسم الرأي العام في رحابها إلى فئتين: فئة تدعم ما سمّته ب"تصحيح المسار" مقابل فئة مناهضة لما اعتبرته "انقلابا".

واتّساقا مع هذا الانقسام، اخترنا من بين عديد الصفحات الفيسبوكية المنشأة إبّان 25 جويلية، أعلى صفحتين من حيث نسب الانخراط لتكون عيّنة لدراستنا. إحدى الصفحتين مناهضة لقرارات الرئيس ("تونس ضد الانقلاب") والأخرى داعمة لها ("كلّنا قيس سعيّد"). وتمتدّ معاينتنا لمضامين هذين الصفحتين والتفاعلات معها منذ تاريخ إنشائها الى موفّى ديسمبر 2021. (3)

وضمن ما يمكن أن يترتّب عن خطاب المساندة وخطاب المناهضة من انحرافات وما يمكن أن يتضمّنه من ديناميكيات السلطة ونقيضها، نطمح في هذه الورقة العلمية، إلى مقاربة الكراهية كعاطفة سياسية ورصد مؤشرات حضورها اللغوية والبلاغية وفهم رهاناتها الحجاجية لمعاينة مدى كفاءتها الإنجازية وقوّتها التحريضية ارتباطا بسياقات إنتاجها.

فماهي التقنيات اللغوية والمعجمية والحجاجية الدالّة على الكراهية في خطابات "العشائر الإلكترونية" المناصرة والمعارضة لمشروع الرئيس "سعيّد" وأيّ مسارات ومعان استقطابية توجّه إليها؟

2. المحتوى الرقمي والاستقطاب السياسي: بين تأكيد التحيّز وتحفيز العاطفة

تحدث حالة الاستقطاب السياسي حين يغيب الاعتدال والحياد ويطغى الانقسام في المواقف حول قضية معيّنة على المجتمع. ويسود الاعتقاد بأنّ وسائط الميديا الرقمية هي أهم العوامل المساهمة في إحداث حالة الانقسام والاستقطاب، إن لم تكن محرّكها الرئيسي. ولعلّ مردّ هذا الاعتقاد هو ترافق ظهور منصّات التواصل الاجتماعي والميديا الرقمية مع تحوّلات عميقة أسهمت في دخول "السياسة في جميع أنحاء العالم في العقود الأخيرة مرحلة من الاستقطاب السياسي غير المسبوق مع النزوع نحو الخطاب المتطرّف والانقسامات المتزايدة بين المعسكرات السياسية وتضاؤل الأرضية السياسية المشتركة، وما أدّى إليه كلّ ذلك من إضعاف للثقة في المؤسسات والمعايير الديمقراطية وتقويض لمصداقية الحكومات، ومن تفاقم للتعصب والتمييز وإذكاء للسخط العام تجاه الأحزاب السياسية" (Carothers T. e., 2019)

ويتأسّس هذا الاعتقاد السائد، لدى غالبية الباحثين في مجال الميديا الرقمية، على ظاهرة "الانحياز التأكيدي" Confirmation bias (Modgil, 2021) التي تعني ميل الأفراد إلى اعتناق الآراء والمعتقدات التي تدعم مواقفهم بما يساهم في انعزالهم في بيئة معرفية اصطلح على تسميتها ب"غرف الصدى" Echo chambers. (Willer, 2017, pp 551-569)

ويكتفي الأفراد، كما تذهب نظرية غرف الصدى، بالتزوّد بالمعلومات التي تعكس مواقفهم وتعزّزها ما ينتج عنه تشوّه في نظرتهم للأحداث والقضايا والأطراف الفاعلة فيها، إذ يواجهون صعوبة في التفكّر في الآراء والأفكار المعارضة ومناقشتها فضلا عن إمكانية تعرّضهم إلى التضليل.

وإذا كان انعزال المستخدم –وفقا لهذه النظرية–يعود إلى اختياراته وقناعاته الخاصّة، فإنّ هذا الانعزال سيكون عائدا أيضا إلى خيارات خوارزمية تكنولوجية كما تقترح نظرية "فقاعات التصفية" Filter bubbles. (Modgil, 2021) إذ تعمل شركات الميديا الاجتماعية على تصفية المعلومات التي سيتلقاها المستخدم قبل أن تصل إليه عن طريق تخمين خوارزمياتها للمعلومات، التي يرغب في الاطلاع عليها، انطلاقا من عمليات النقر والبحث والتفاعل والمشاركة التي يقوم بها. ونتيجة لذلك، تحجب عنه المعلومات التي لا تتّفق مع ميولاته فينعزل في فقاعته الأيديولوجية والثقافية.

وفي كلتي النظريتين، نبّه الباحثون إلى خطورة هذا الانفصال عن المعلومات والآراء المعارضة وحالة العزلة الفكرية التي يخلقها على المسار الديمقراطي باعتبار أنّه يوفّر بيئة حاضنة للمعلومات المضللة والاستقطاب السياسي والايديولوجي.

بيد أنّ بعض الدراسات الحديثة بيّنت أنّ الاعتقاد الجازم بتأثير غرف الصدى وفقاعات التصفية على تشكيل الآراء السياسية قد يكون مبالغا فيه.

ففي دراسة أجراها "سيث فلاكسمان" وزملاؤه في جامعة "أكسفورد " (Flaxman, 2016, pp 298-320) على عيّنة من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في الولايات المتّحدة، تبيّن أنّ ميل المستخدمين إلى مصادر إخبارية أكثر استقطابا لا يعني أنّهم لم يتعرّضوا إلى وجهات نظر معارضة في مواقع أخرى.

وتوصّلت دراسة أخرى (Dubois, 2018) شملت 2000 بريطاني، إلى أنّ غالبية الأفراد يخرجون من منطقة راحتهم السياسية خلال بحثهم عن مصادر إضافية تنقل لهم وجهات نظر متنوعة ومخالفة لتصوّراتهم المسبّقة وأنّ 8٪ فقط من المشاركين يعيشون داخل غرف الصدى الايديولوجية.

ولكن التعرّض الى وجهات النظر المخالفة لا يعني أيضا، وفقا لعديد الدراسات النفسية، التخلّي عن وجهة النظر الخاصّة. فقد يساهم الاطلاع على المصادر والمعلومات الإضافية في ترسيخ القناعات وزيادة الثقة في المواقف. فالدافع، في هذه الحالة، يكون البحث عن إشارات وأدلّة ملائمة للموقف الذاتي في ثنايا المعلومات المناقضة من أجل الوصول إلى استنتاجات بعينها تعزّز هذه القناعات الذاتية وتحفّزها.

وهنا، نمرّ من التعرّض الانتقائي لمصادر المعلومات إلى معالجة انتقائية للمعلومات بعد عملية التعرّض إليها. ذلك هو "الاستدلال المحفّز" (3) motivated reasoning الذي يزيد الفرد ارتباطا بهويّته السياسية.

وقد تحدث هذه العملية الانتقائية للمعلومات، الموجّهة نحو مطابقتها مع المعتقدات السابقة، بشكل تلقائي سيّما من قبل المواطنين المتحزبين الذين يرغبون في تأكيد هوياتهم الحزبية وتمييز أنفسهم عن خصومهم السياسيين، كما قد تستخدم بشكل مدروس من قبل السياسيين الذين يعتمدون على تحيّز الأفراد لتحفيزهم واستقطابهم.

وفي هذا الإطار بيّنت دراسة أخرى، حول العلاقة بين خطاب الكراهية السياسي والعنف الفعلي (Piazza, 2020, pp 431-453)، أنّ السياسيين يعمّقون الانقسامات القائمة حين يستخدمون لغة تحريضية كخطاب الكراهية بهدف حشد المؤيدين ونزع الشرعية عن المعارضين ممّا يجعل مجتمعاتهم أكثر عرضة لتجربة العنف السياسي والإرهاب.

من ناحية أخرى، فنّدت دراسة أعدّها ثلاثة باحثين من جامعات أمريكية نشرت في مارس 2017 أن يكون ظهور وسائط الإعلام الاجتماعي والأنترنت العامل الرئيسي لزيادة الاستقطاب السياسي في المجتمع الأمريكي، وبيّنت أنّ تصاعد نسب الاستقطاب السياسي يكون بين المجموعات الديموغرافية التي تقلّ لديها إمكانية استخدام أفرادها للإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاصّ (Boxell, 2017).

ويمكن أن نستنتج، ممّا توصّلت إليه الدراسات المعروضة، أنّ منصّات الميديا الرقمية لا تخلق حالة الاستقطاب السياسي والايديولوجي، وإنّما تساهم في تعميقها وتأجيجها بفعل استثمار المستخدم لما تتوفّر عليه من ثراء في التفاعلية الرقمية ممّا يجعل هذه المنصّات "تسهّل تكوين الأشخاص والشبكات من ذوي التفكير المتماثل وتجميعهم كما تساهم في تمكين المجموعات المستقطبة" (Modgil, 2021). وهكذا، يؤدّي تصاعد "حبّ التماثل السياسي" Homophily إلى الاستقطاب والخلاف السياسي.

ويمكن القول إنّ التحرّر المعلوماتي والانتشار الواسع للمحتوى الرقمي أدّى إلى ظهور "الجماهير العاطفية" publics Affectif (Papacharissi, 2015)الباحثة عمّا تسمّيه "حنا أرندت" ب"الأمان الهستيري" (أرندت، 2016، ص 100)، كما أدّى إلى بروز المجال العامّ العاطفي affectif public sphère.

واصطبغ إنتاج المحتوى الرقمي، في خضم ما يشهده العالم من تحوّلات عميقة في مجال السياسة، ب"نيّة عاطفية" pathemic aim (Charaudeau, 2000, pp 125-155) تحوّل بموجبها الفضاء العام الافتراضي من فضاء للنقاش حول الأفكار والآراء إلى فضاء للاستقطاب العاطفي (Iyengar, 2012, pp 405-431) Affective polarization

فالاستقطاب السياسي لم يعد قائما على الانتماء الحزبي وعلى تباين الآراء، بل على ديناميكية جديدة مدفوعة بالانتماء الاجتماعي وبالهويّة حيث تعمل الهوّية الحزبية على امتصاص طيف واسع من الهويات الاجتماعية وإضعاف الانقسامات الشاملة وتقسيم المجتمع والسياسة إلى قسمين متعارضين أو هوّيتين كبيرتين. (Törnberg, 2021)

وينشط هذا "الإدراك الحامي للهوية" Identity-Protective Cognition (Kahan, 2017) ، كنوع من "الاستدلال المحفّز"، حين تتأثّر الأحكام بالهويات والمصالح والارتباطات العاطفية والرمزية وحين تدفع الحجة المعارضة للموقف الخاص إلى عدم **مراجعة** هذا الموقف والتخفيف منه بل الى تعزيزه وتقويته.

إنّ هذا "الاستقطاب العاطفي" كبديل للنقاش العقلاني لا ينتج إلّا حشودا حاقدة يحرّكها الغضب والانفعال تحت تأثير الأحكام المسبقة والتخمينات والانطباعات والمغالطات وحملات التشويه، وتعزّزها خاصيات التشاركية والفورية والمجهولية الاسمية التي تشجّع على الكلام العاطفي وتقلل من الموانع الاجتماعية والقانونية.

وإذ تتولّد الكراهية كاستجابة عاطفية لدافع الهوية أو كثمرة للاستقطاب السياسي العاطفي، يتنامى خطاب نشر الكراهية في الفضاءات السياسية كما في الميديا التقليدية ومنصات الميديا الاجتماعية.

3. "العشائر الإلكترونية" وطنين الكراهية: تقاطبات المناصرة والمعارضة

تتألّف العشائر الإلكترونية من "ذوات تتذاوت فيما بينها مُنتجة لإنشاءات أيديولوجية وفنية لها مرجعية جماعية تسلك فيها الأفكار والآراء الشخصية منحى الأفكار الجماعية" (الحيدري، 2019، ص 18). وتؤثر هذه المرجعية أو الهوية الجماعية في التقييمات والعواطف والسلوكيات وتعمل كتمثيل معرفي لنقطة نهاية مرغوبة.

وتتمثّل نقطة النهاية المرغوبة، في مضمارنا، في حشد المناصرة أو المعارضة للمشروع السياسي للرئيس "قيس سعيد" من خلال آليات الإثبات والنفي التي تنخرط الذوات الحاشدة والمحشودة بمقتضاها في صراع إلكتروني "عشائري" حول الشرعية واللاشرعية.

وتقتضي لعبة الإثبات والنفي عادة مقارعة الحجة بالحجة ومخاطبة ملكة الفهم والنقد، غير أنّها تتحوّل بمنطق العشيرة الإلكترونية إلى لعبة تطغى غايتها على وسيلتها وتتخذ فيها الأفكار والألفاظ مسلكا عنيفا يستقرّ نحو التحريض والدعوة إلى الكراهية، بوصفها "حالة ذهنية تتسم بانفعالات حادّة وغير عقلانية من العداء والمقت والاحتقار تجاه المجموعة أو الشخص المحرّض ضده" وفقا لمبادئ "كامدن" لتعريف خطاب الكراهية.

1.3 الضمني والصريح في خطاب التحريض ضدّ "الانقلاب":

ولم يقتصر خطاب الكراهية الذي تضمّنته صفحة "تونس ضدّ الانقلاب" على المستوى الظاهر من القول الذي يمكن أن نلمسه من طبيعة المفردات والتعبيرات الدالة، بل استقرّ في مواضع كثيرة في المستوى الضمني للقول بما يحتاج إلى فعل تأويلي يفجّر الدلالة الكامنة والقصد من وراء الاستعمال.

أ. المستوى الصريح للتحريض ضدّ "الانقلاب"

تحمل اللغة الواصفة للآخر، في سياق خطاب الكراهية، رهانات حجاجية تحريضية وتتحوّل، بذلك، إلى لغة واصمة. فعملية الوصم تحدّد سلوك الأفراد وهويتهم الذاتية عبر إطلاق مسمّيات وتصنيفات سلبية تجعلهم يبدون منحرفين عن القواعد الثقافية والاجتماعية المعيارية بشكل يجعلهم لا يحظون بالمقبولية الاجتماعية.

فالنعوت والتسميات الموجّهة للطرف الموصوف (قيس سعيد وأتباعه) كانت بمثابة الاتهامات ومثّلت حججا ضدّه. وتفرّعت هذه النعوت والتسميات على ثلاثة حقول معجمية أساسية: معجم العمالة والخيانة ومعجم الاستبداد ومعجم الاعتلال النفسي والعقلي.

ورسمت هذه المعاجم (التي يبرزها الجدول عدد1)، وما تضمّنته من قيم وصفات أدوار منسوبة لهذا الآخر، هوّية سياسية وأخلاقية له يستنكفها التونسيون بنيت على نوعين من الوصم: الوصمة الجنائية والوصمة العقلية استنادا إلى تصنيفات "غوفمان" .(Goffman, 1963)

الجدول 1: معاجم اللغة الواصفة للآخر: "قيس سعيّد" وأنصاره

	معجم العمالة والخيانة	معجم الاستبداد	معجم الاعتلال النفسي والعقلي
قيس سعيد	الانقلابي/ المنقلب/ كلب الردّة	الدكتاتور الجديد	مصاب بالهستيريا
	المخادع الغدّار/ المتحيّل	دكتاتور شعبوي	عاشق لذاته التي نحتها البارانويا
	حاكم كذاب ومخاتل ومخادع	ممارساته ميليشاوية	المهزوز الضعيف الفاقد للشخصية
	مسيلمة الكذاب/ السفيه	ممارسات بن علي الدنيئة	لمريض المعقّد الفارغ
	نشر الأكاذيب والأراجيف	تلفيق التهم	نرجسيته المختلطة بالتقمص الضعيف
	كذبه العابر للقارات	نزوعه للاستبداد والتسلط	الشيزوفرينيا والعنجهية
	عميل المخابرات المصرية	شهوته المريضة في الاستفراد بالحكم	تحركه العقد النفسية
	مخبر السيسي	الوطدي المجرم/ السفاح	معتوه/ لا عقل له
	خادم ماكرون والامارات	عاجز الا عن القمع	المتوحّد
	بواس الأكتاف/ متاع الحماية	بشار السفاح مثله الأعلى	المضبّع والمختل عقليا
	الناكر للاستعمار	قذافي جديد	هوسه ومرضه بالسلطة
	الصبايحي الكبير	رأس الحربة في مشروع الردة على	متغطرس نرجسي
	جرذ فرنسا والموساد	الديمقراطية	أكبر مخبول ومزطول
	الدمية/ الماريونات	الانقلاب الفاشي	
	غدر بالدولة والديمقراطية	الحمار آكل الدستور	
	خائن للوطن والثورة/ خائن القسم	ابن المنظومة القديمة	
	متملق متآمر على الشعب	رمز الظلم	
	تسويق الوهم والخديعة		

	لا يتوقف عن الكذب والتلفيق بيدق /دجال قرطاج ينفذ أجندات محور التطبيع الذراع اليمنى للامارات صديق المطبعين أشقاء الصهاينة/ المتصهين – تلميذ السيسي		
داعمي "الانقلاب"	الصبايحية/ العملاء أذناب الاستعمار نهاب الوطن الطماعين الوصوليين بيادق الانقلاب صفاتهم الطحين والخيانة الأشباح/ خونة وعملاء	العبيد /عشاق الاستبداد قطيع/ أذيال الانقلاب جوقات التزمير والمناشدة جراء سعيد/ المطبلون الزقافنة/ أنصار زقفونة عصابة الهدم البشمرقة/ الميليشيات	حمقى أفكارهم الشاذة مغامرون أغبياء

ب. المستوى الضمني للتحريض ضدّ "الانقلاب"

ويخرج خطاب الكراهية من المستوى التقريري المباشر إلى المعاني الضمنية التي يدركها المتلقي بناء على المحدّدات السياقية. وتتخفّى وراء هذه المعاني النيّة التوجيهية لمنتج الخطاب (المشرف على الصفحة) الذي يسعى إلى التحشيد بالحجّة بدلا من اللغة الهجومية المباشرة عن طريق استحضار كل الحجج الداعمة وتوظيف الصورة في نشر الكراهية.

ويساهم هذا المستوى الضمني للتحريض في تغذية مستوى الانحياز التأكيدي لدى متلقّي هذا الخطاب وزيادة سخطه على الآخر "الانقلابي"، إذ تصبح الكراهية تحت تأثير الحجاج التحريضي فعلا مبرّرا.

الصورة، إذ تنطق كراهية

وللصورة سلطتها الإقناعية على المتلقّي، إذ يمكنها أحيانا أن تتبوّأ مرتبة الحجة. فالصورة أداة تعبيرية لها خصائصها الدلالية والانتقائية التي تمنحها قدرة كبيرة على إثارة نوازع المتلقّي وتأجيج انفعالاته، "إنها وسيلة للاستثارة لا إحالة على مقولات. إنها ليست عقلا، بل ما يسهم في تحييده" (غوتيي، 2012، ص11).

وقد جاءت لغة الصورة المستخدمة في صفحة "تونس ضدّ الانقلاب" (التي انتقينا منها 5 نماذج) مدعّمة لما تضمّنته صور المعجم من وصم وتحريض. فوصم العمالة تنطق به الصورتين التاليتين، إذ تتضمّن كلتاهما صورة المتّهم بالعمالة (قيس سعيّد) والجهة التي يعمل لأجلها أو التي يشاع أنّه خان الوطن معها.

ويظهر "العميل" في الصورة الأولى (عدد1) خلف الرئيس المصري "عبد الفتّاح السيسي" ممّا يوحي بتبعيته له وخضوعه لإملاءاته "الانقلابية" كما توحي الدماء التي تغطّي وجهي الطرفين (وتغطي كامل الصورة) بالمشهد الدموي الذي يتهدّد تونس، وهو مشهد يستحضر ما حصل في مصر إثر الانقلاب العسكري الذي قاده "السيسي" على حكم الإخوان.

الصورة عدد1

أمّا في الصورة الثانية (عدد2) التي تكرّر نشرها في الصفحة بشكل دوري، فيظهر "قيس سعيّد" وهو يهمّ بتقبيل كتف الرئيس الفرنسي "ايمانويل ماكرون" خلال زيارة له أدّاها إلى فرنسا. ويبدو الرئيس الفرنسي، في هذه الصورة، مبتسما سعيدا وكأنّ هذه الابتسامة هي علامة رضا على أداء "عميله في تونس" الذي بدا مطأطأ الرأس خانعا شاكرا ل"وليّ نعمته".

الصورة عدد2

وتكمن القوّة الإنجازية لهذين الصورتين فيما تضمرانه من محاولة للتشكيك في صدقية مقولة "التطبيع خيانة عظمى" (التي ردّدها "قيس سعيّد" طيلة حملته الانتخابية)، وفيما يمكن أن يسفر عنه ذلك من هدم لإيتوس الأخلاق الذي بنى عليه هذه الحملة.

ويضفي الطابع الساخر، الذي يميّز الصورتين المواليتين، بعدا إيحائيا يعتمد أسلوب المفارقة الذي يحرّك في المستخدم سخطا على "سعيّد" الراغب في الاستفراد بالسلطة على حساب المصلحة العليا للوطن ويحمله على التفكير في ضرورة المضيّ في دعم موقف المعارضين له. فالصورة الأولى (عدد3) يظهر فيها "قيس سعيّد" وهو متربّع على كرسي السلطة وسط شارع تتكدّس فيه أكوام النفايات. ومن السهل على المستخدم أن يستخلص دلالة هذه الصورة التي مؤداها أنّ تونس تغرق في أكوام النفايات، بينما رئيسها غارق في طموحه السياسي للاستفراد بالحكم.

وقد أحسن مصمّم الصورة توظيف سياق مشكلة النفايات في مدينة صفاقس لنسج مقابلة بين تركيز "سعيّد" على الاستحواذ على السلطات وإهماله للمشاكل اليومية الحارقة التي يعاني منها المواطن التونسي وتحتاج إلى حلول عميقة.

وتضمر هذه الصورة، كذلك، تحطيما لشعار "الشعب يريد" الذي رفعه في حملته الانتخابية. فلم يعد هذا الرئيس يريد تحقيق إرادة الشعب، بل يسعى إلى تلبية "شهوته المرضية للسلطة".

الصورة عدد3

استعارة الغرق تستخدم أيضا في الصورة الثانية (عدد 4)، في مشهد كاريكاتوري يظهر فيه "سعيّد" وهو يقود قطارا قديما. القطار غارق في الوحل ولكنّ "سعيد" يصرّ على مواصلة الطريق وعلى أنّه "في الاتّجاه الصحيح"، قائلا "لا مجال للرجوع إلى الوراء". وتبرز هذه الفجوة المجسّدة بين الواقع وبين ما يفكّر فيه الرئيس أنّ شهوة السلطة قد أعمت بصيرته عن إدراك هذا الواقع المتردّي الذي تعيشه البلاد وكأنّ عقل الرئيس عالق في وحل السلطة كما علق قطار التنمية في تونس.

الصورة عدد4

وتؤكّد هذه الصورة الفكرة التي كرّرتها صفحة "تونس ضدّ الانقلاب" بشأن عنجهية "سعيّد" السياسية التي تجعله عاجزا عن إخراج تونس من المأزق الاقتصادي والاجتماعي الذي تعلق فيه منذ سنوات، بل قد تجعله يمضي بها إلى الأسوأ.

ومحور المفارقة في الصورتين السابقتين، إذن، هو ضرب مصداقية وعود "سعيّد" الانتخابية ببيان سعيه في الاتجاه المعاكس لها من أجل الكشف عن النوايا الحقيقية لمشروعه "الانقلابي" وترسيخ صفات الكذّاب والمخادع والمنقلب في ذهن المتلقي.

أمّا الدعوة إلى الكراهية، في الصورة الأخيرة (عدد 5)، فتبدو أكثر تحرّرا من الإضمار، مقارنة بالصور السابقة. ذلك أنّ دلالاتها يمكن أن تدرك دون الحاجة إلى تحليل ذهني. وتستعير هذه الصورة الكاريكاتورية مخزونها الدلالي من المطر، فتصوّر "سعيّد" وهو بصدد الهروب متحصّنا بمطريته حتّى تحميه من وابل النعال التي تنهال عليه.

وفي هذا المشهد توظيف لما ينطوي عليه الضرب بالنعال من إهانة وتحقير لمن صوّبت نحوه النعال، ومن حنق وكره له من طرف من قام بتصويبها. وتصبح النعال، هنا، كمطر السوء الذي ينزله الله على الظالمين. وهكذا، تقترح هذه الصورة الضمني بواسطة الصريح، فهي تتضمّن دعوة مبطّنة إلى معاقبة هذا "الظالم المستبدّ" وتحيّش المستخدمين لطرده وإقصاءه وخلعه عن الحكم كما خلع الرئيس "بن علي"

عام 2011 وهو ما يحيل إليه اختيار اللون البنفسجي للمطرية (الذي يرمز إلى اللون المميّز لحزب "التجمع الدستوري الديمقراطي" حزب نظام "بن علي").

الصورة عدد5

التحريض بالحجة

ولا يمكن معارضة أطروحة أو مشروع بالاكتفاء بالعنف اللفظي، إذ نحتاج الى حجج تبيّن سلامة موقفنا ممّا نعارضه. ولكنّ عملية المحاججة في الخطاب المحرّض على الكراهية لا تهدف إلى التحفيز على التفكير وتعديل زاوية النظر، بل إلى التوجيه العاطفي للتفكير والحمل على الفعل. فتتجاوز مقصدية الحجّة البعد الفكري المتمثل في الحصول على تأييد إلى البعد العملي المتمثل في الحصول على ردّ فعل.

واعتمدت صفحة "تونس ضدّ الانقلاب" على تنويعات حجاجية تشتغل على واجهتين: إبطال مزاعم "الانقلاب" وإثبات شرعية معارضته. ونستعرض فيما يلي أبرز أنواع الحجج التي استخدمتها هذه الصفحة والتي رأينا أنّها تحمل بين طيّاتها تحريضا على الكراهية:

- **حجة كشف التناقض** بين تصريحات الرئيس وأفعاله: ينتج عن استخدامها إبراز عدم مصداقية الرئيس فضلا عن غياب حجته ووهن مشروعه وموقفه. ويظهر ذلك في استدعاء أقواله التي صرّح بها أثناء حملته الانتخابية ومقارنتها بتصريحاته وأفعاله بعد إجراءات 25 جويلية 2021.

من ذلك كشف التناقض بين موقفه من الاستفتاء قبل توليه الحكم وبعده، إذ تمّ عرض مقطع فيديو صرّح فيه أنّ " الإستفتاءات في البلدان العربية أداة من أدوات الديكتاتورية المتنكّرة، هل نظّم إستفتاء واحد في بلادنا العربية ولم يقل فيها الشعب نعم!" في حين دعا، بعد اعتلاءه سدّة الحكم إلى استفتاء شعبي لتغيير الدستور.

وفي مثال آخر، تمّ استخدام مقتطف من تصريح ل"سعيد" إبّان انتخابه قال فيه "إمّا أن تتحدّث عنّا أجيال من أحفادنا بفخر أو أن نكون سطرا مخجلا يدرسونه في كتب التاريخ". وأرفق هذا التصريح بصورته وهو يقبّل كتفي الرئيس الفرنسي (صورة عدد2). وموطن التناقض، هنا، أنّ الرئيس بانقلابه وارتماءه في حضن الاستعمار والتخابر معه ضدّ مصلحة الوطن أصبح سطرا مخجلا في تاريخ تونس.

- **حجة التوجيه** وهدفها التخويف والتحذير ممّا ستؤول إليه أوضاع تونس إن استمرّ "سعيّد" في السلطة، وذلك بالترويج إلى أنّ حكومته تنوي في مطلع العام الجديد رفع الأسعار في عدد من المواد الاستهلاكية والخدمات العمومية وأنّ السنة الجديدة ستكون سنة

الفقر والتجويع وأنّ "قيس سعيّد" سيعلن قريبا إفلاس الدولة" وأنّ "الأمر أخطر ممّا نتخيّل.. الانقلاب باق إلّا إذا هبّ الأحرار وبعنف".

- **حجة السلطة** التي استخدمت المرجعيات القانونية والسياسية والدينية للتحريض ضدّ قرارات "سعيّد" بإظهار خرقها للدستور وللقوانين من خلال الاستشهاد بالنصوص والفصول القانونية، فضلا عن آراء المختصّين في مجال القانون الذين عارضوا هذه القرارات وبيّنوا عدم قانونيتها وكذلك حشد مواقف المنظمات الدولية المندّدة بقراراته وآراء القيادات السياسية المعارضة له.

واستخدمت حجّة السلطة أيضا الآيات القرآنية، من قبيل "وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون"، لتكتسب إدانة الرئيس حصانة دينية بالإضافة إلى الحصانة القانونية ويسهل بذلك الحصول على إجماع عليها.

- **حجج التأطير** وذلك بالاعتماد على تقنية الإكثار من ذكر الأخبار السيّئة، فيتمّ التركيز على أخبار الحرائق والحوادث والاحتجاجات وتأخّر صرف الأجور والجرايات وفقدان مواد غذائية من الأسواق والقبض على المهرّبين والمجرمين. والغاية من ذلك هي إظهار هذه الأحداث السلبية كنتائج حتمية لقرارات الرئيس وتدابيره الاستثنائية.

- **تقنية المقابلة** بين قيم وصفات المعارضين والأنصار (الفلّاقة والقوّادة/ الأحرار والأسرى، ثورتهم غرف مظلمة وثورتنا شمس ساطعة، نحن مع وطن حرّ وهم مع حكم انقلابي)، وبين "سعيّد" و"المناضلين" مثل الرئيس الأسبق المنصف المرزوقي (بائس انقلابي تعيس يحارب رجلا وطنيا صادقا، شتّان بين من عاش طوال حياته مهجّرا ومستبعدا وملاحقا من الطغاة وبين من كان يشارك الطغاة تنقيح الفصول الدستورية). والمقابلة، أيضا، بين أفعال "سعيّد" ونقيضها (جابوه باش ينصر الأحرار ويقضي على السراق يخي غلّى في الأسعار وطاح يقطع في الأرزاق).

- **تقنية القلب** التي تهدف إلى التهكّم عن طريق قلب معنى اللفظة وتغيير دلالاتها إلى ضدّها، وهي طريقة تهكُّمية تؤدّي إلى قول عكس ما نودّ تبليغه عبر بلاغة قلب المعنى مثل نعت "سعيّد" ب"الشريف النظيف العفيف" أو "الصادق جدّا" والمقصود هو عكس ذلك تماما.

وتمّ استخدام هذه التقنية، أيضا، في هذا المثال الذي يقصد به التهكّم على الأمر الرئاسي القاضي بتغيير تسمية السنة الادارية إلى السنة الميلادية:

"بشرى للشّعب العريان الحفيان الجوعان العطشان، فقد أبى رئيس الدّولة إلاّ أن يزرع البسمة على جميع شفاه المحرومين ويثير إعجاب المطبلين والمزمرين للإنقلاب الناهقين كالحمير النابحين كالكلاب وذلك باعتماد عبارة سنة ميلادية عوض سنة إدارية".

2.3 بلاغة التشويه والشتيمة في الخطاب الداعم ل"قيس سعيّد"

استخدام التشويه والشتيمة فعل تواصلي وسلوك لفظي تنفيسي يقوم على مغالطة الشخصنة ad hominem، وينتقل صاحبه من مناقشة الفكرة إلى مناقشة قائلها والتعريض به من أجل الطعن في مصداقية فكرته. واللجوء إلى التشويه والشتيمة تعبير عن غياب الحجّة وعن رغبة في النيل من الخصوم.

وقد استخدمت صفحة "كلّنا قيس سعيّد" التشويه والشتيمة كاستراتيجيتين للإقصاء من خلال اللغة الواصفة ومعاجمها واستهداف الخصوم بالافتراء عليهم، حينا، وتوظيف الملفات التي تورطوا فيها (بعضها بتّ فيها القضاء وبعضها الآخر مازالت في طور التحقيق) أو بالتهكّم والتحقير والدعوة إلى الإقصاء أحيانا أخرى.

وقد لعبت الصورة في هذا الخطاب دورها في عمليات التحقير والتقبيح والإقصاء. لكنّ التحريض فيها كان ظاهرا في عناصرها التعيينية لا يحتاج إلى جهد تأويلي، خلافا للصورة في خطاب صفحة "تونس ضدّ الانقلاب" التي كان فيها التحريض مستوطنا لعناصرها التضمينية.

أ. الشتيمة واستراتيجية "تسميم البئر"

لغة الشتيمة هي لغة تصنّف الآخر وتنمّطه وتشيّئه أحيانا. ونبيّن في الجدول أدناه (جدول عدد 2) معاجم اللغة الواصفة لمعارضي "سعيّد" التي سيطر عليها معجم الشتيمة والتحقير، فكانت أوصافهم هي الخسّة والنجاسة والذلّة والفشل والغباء وشبّهوا بالأحمرة والقرود والذئاب والكلاب والجرذان والغربان ونعتوا بالأوباش والحثالة والطفيليات والنفايات و"الهمل" (المتمردين سلوكيا عن المجموعات المنتمين إليها) ووصف أحدهم ب"الشيطان". ووصل الأمر الى معايرة بعضهم بعيوبهم الخلقية ("بو كرش" أو "بو طحش" دلالة على كبر البطن، "بو جلغة" دلالة على عيب خلقي في الفم، "بو لوذان" دلالة على طول الأذنين). وهنا، تضاف الوصمة الجسمية /الخلقية إلى الوصمة الجنائية والسلوكية.

هذه الشتائم والإساءات اللفظية، بكلّ ما تحمله من لغة عدائية وتشبيهات مهينة، لها وقع تحريضي عنيف ضدّ الآخر سيّما إذا تمّت المقارنة بينها وبين النعوت والأوصاف الإيجابية التي تنسب ل"سعيّد" وأتباعه.

وللأوصاف المنسوبة إلى المعارضين التي تضمّنتها المعاجم الأخرى (معجم الفساد ومعجم العمالة ومعجم الإرهاب والإجرام) قوّتها التأثيرية أيضا. فالاتهام بالخيانة والعمالة أو بالإرهاب و"الدعشنة" والفساد والسرقة لا تقلّ تحريضا عن الشتائم المباشرة، وهي أكثر قدرة على التصنيف والوصم من الشتيمة كما أنّها أكثر قدرة على الإقناع ببطلان مزاعم الآخر.

فالشتيمة تنتقص من قيمة الآخر (المشتوم) وتمنح الشاتم فرصة لتفريغ حنقه وكرهه له، ولكنّها عاجزة عن ضرب مصداقيته ونفي شرعيته. ولذلك فإنّ اللجوء إلى الشتيمة يجعل الخطاب يقف عند "الدرجة الصفر" من الإقناع وينقص من قيمة الخطاب ويشوّه قائله بقدر ما يشوّه من وجهّت له الشتيمة.

الجدول 2: معاجم اللغة الواصفة للآخر: معارضي "سعيّد" وقادتهم

	معجم الفساد	معجم الاجرام والارهاب	معجم العمالة	معجم التحقير
جماعة مبادرة "مواطنون ضدّ الانقلاب"	مبادرة إعادة الفساد وتوطينه متمعشين من النظام الفاسد		عملاء وبائعي الأوطان/ المرتزقة ينتظرون العلفة من الخارج/ يستأسدون بالأجنبي/ خائنين مندسين وخونة	الجرذان حثالة طفيليات لا تستحي
السياسيين ونواب البرلمان	الفاسدين – متمعشين– لصوص– كناترية منظومة المافيا برلمان الخراب منبع الفساد	مجموعة من المجرمين	بائعي الهمم باعوا وطنهم	حثالة السياسة ساسة التعاسة والنجاسة والخساسة والانتكاسة كمشة همل ضيعة/ برلمان العار

	مصاصي دماء الشعب			نفايات العشرية السوداء
حركة النهضة	شعاره الاحتيال وتبييض الأموال/ حركة النهبة تجار الدين عصابة الخوانجية نهبوا الدولة وخربوها	مغتصب الوطن تنظيم إرهابي اغتالت الشهداء حركة الاخوان المجرين الارهابيين	عملاء قطر والعثمانيين أعداء الوطن	حركة النكبة الأوباش الخوانجية/ بنو خومج العصابة النجسة اخوان الشياطين
ائتلاف الكرامة				ائتلاف القمامة حزب المرخوف
اتحاد الشغل	اتحاد الخراب الفساد والرشوة والتزوير دمر الإدارة التونسية اتحاد عصابة السراق خيانة الشغالين			
جوهر بن مبارك			يأكل مع كل ذئب وينبح مع كل كلب ويبكي مع كل راعي	سنبل آغا قلاب الفيستا جوهر أفلام
راشد الغنوشي	سارق تاجر دين أكل مال الشعب سبب الخراب	قاتل/ ارهابي راعي وزعيم الإرهاب أكبر مجرم في تاريخ تونس	كاذب وغدار وسفيه سليل الخونة والعملاء خائن يتمايل حسب مصالح الأسياد	الغراب/ صانع نكبتنا سليل الأنذال والأرذال بو جلغة الكاهن الأعظم للخوانجية المنافق /الثعلب الماكر أم البوية (الحرباء) ابليس تونس شيخ الدجالين
المنصف المرزوقي			يتجاهر بالاستقواء بالأجنبي خائن للوطن عميل سليل الخوارج	طرطور/ المعتوه غير جدير بالشرف نذير الشؤم ومصدر اللؤم أضحوكة يتندّر بها الرخيص الخسيس الفاشل/ الحقير/ الغبي الأرعن الذليل
نور الدين	رأس فتلة الفساد	جزّار/ بائع لحوم الشعب	الخائن / المنافق	بلا كرامة

الطبوبي	سارق		العدو الأول للشعب التونسي	الجرذ

وليست الشتيمة وحدها هي ما تتيح " القصاص المعنوي" من الآخر، فتشويهه أيضا يمكن أن يصدّ حجّته وذلك عملا باستراتيجية "تسميم البئر"poisoning the well (مصطفى، 2007، ص83)

فإذا كان سلاح الخصوم هو الغدر والخيانة والإرهاب والاستقواء بالدول الأجنبية، فإنّ معارضتهم ل"سعيّد" لا يمكن أن تكون أبدا لمصلحة الشعب.

وقياسا على ذلك، إذا كان "جوهر بن مبارك" منافقا "يأكل مع كل ذئب وينبح مع كل كلب ويبكي مع كل راعي"، فلا مصداقية للمبادرة التي يقودها لمعارضة "سعيّد". وإذا كان "راشد الغنوشي" راعي الإرهاب وزعيمه وسليل الخونة والعملاء وتاجر دين فكيف يمكن أن يكون موقفه من قرارات "سعيّد" سليما...؟

استراتيجية أخرى اعتمدها خطاب صفحة "كلّنا قيس سعيّد" لتشويه الخصوم هي التشهير بهم حقّا أو باطلا. فكلّ من يخرج معلنا موقفا معارضا للرئيس يتمّ النبش في سجله السياسي أو القضائي ومهاجمته بجريمته المجهّزة مسبقا. فهذا "مجرم الرشّ" وذلك "مجرم الأمن الغذائي" والآخر اختلس هبة للدولة التونسية، ومنهم من يدّعي "الثورجية" وصورة له تفضح أنّه كان من المشاركين في الصف الأوّل في احتفالات السابع من نوفمبر في العهد البائد. وتفضح صورة أخرى الرئيس الأسبق وهو يصافح أحد المتورّطين في قضايا إرهابية.

وهكذا، تقارع الحجة بالتهمة وباستثمار الأخطاء السياسية والملفات القضائية (الاغتيالات، تسفير الشباب إلى سوريا، تبييض الأموال والتلاعب بالصفقات العمومية مثل صفقة القمح المسرطن، التخابر مع الإرهابيين، غلق السفارة التونسية في سوريا...)، بالإضافة إلى فضح بعض الممارسات والسلوكات اللاأخلاقية (مثل نشر صور أحد القادة المعارضين أثناء جلسة خمرية وهو يجالس امرأة في وضعية جنسية). وهنا، تتعاضد تيمة الفساد السياسي وتيمة الخيانة والعمالة مع تيمة فساد الأخلاق لإدانة الخصوم وتشويههم ويصبح "فيسبوك" منصّة للمحاكمة والمحاسبة القانونية والأخلاقية.

ويتعدّى الخطاب تشويه الخصوم بتقبيح أفعالهم إلى تقبيح صورتهم بغرض الحطّ من شأنهم والتنفير منهم. فتقبيح الآخر وتبغيضه، عبر وضعه في إطار أو موقف يثير التهكم، يعدّ مغالاة تعبيرية محرّضة على الكراهية.

ففي إحدى الصور التي نشرتها الصفحة، نجد تشبيها للرئيس الأسبق "محمد المنصف المرزوقي" بشخصية "غولوم" الخيالية في ملحمة "سيد الخواتم". وهذه الشخصية هي عبارة عن مسخ مشوّه وذو جسد وعقل معطوبين بسبب قوى الخاتم. ولعلّ هذا هو وجه الشبه الذي تلمّح إليه هذه الصورة.

الصورة عدد6

وفي صورة أخرى، تم إظهار رئيس البرلمان "راشد الغنوشي" في هيئة المتشرّد الذي يرتدي ثيابا رثّة ويحمل غطاء صوفيا على كتفه في إحالة على تشرّده السياسي بعد قرار تجميد البرلمان. وأرفقت الصورة بعبارة "الي يكرهني يحطّ جام" (من يكرهني يضغط على زرّ الإعجاب) في محاولة لاستفزاز منخرطي الصفحة للتفاعل والتعبير عن كرههم له.

الصورة عدد7

ويستهدف التهكّم والتحقير الأشخاص كما المجموعة. ففي هذه الصورة، التي تمّ التركيز فيها على البطون المنتفخة لأربعة من قادة حركة النهضة. وإذا قرنّا بين انتفاخ البطن والمثل الشعبي الذي ذيّل الصورة "عام الجيفة تسمن الكلاب"، نجد أنّ القصد من هذه الصورة هو فضح قبح هؤلاء القادة "المستكرشين" الذين استثروا وملأوا بطونهم من أموال الشعب.

الصورة عدد8

ب. الدعوة إلى الإقصاء

ويبلغ خطاب الكراهية ذروته عندما يستهدف فئة بعينها، من خلال الدعوة الصريحة إلى إقصائها. وقد تضمّنت صفحة "كلّنا قيس سعيّد" دعوات متكرّرة إلى القطع مع سياسيي وأحزاب "منظومة العشرية السوداء" الذين "لن ينفع معهم إلّا الكنس" (كنس الجرذان واجب وطني لتعيش الأجيال القادمة بأمان).

واستعمال عبارة "الكنس"، في هذا السياق السياسي، يحيل إلى الدعوة لتنظيف الساحة السياسية التونسية وتطهيرها من هذه "النفايات السياسية" التي لوّثت البرلمان والتي مكانها المناسب هو "مزبلة التاريخ". وتعبّر الصورتين التاليتين (عدد9 و10) بوضوح عن هذه الفكرة:

الصورة عدد9

الصورة عدد10

فمثلما قرّر "ليون تروتسكي" إرسال خصومه المنشقّين عن المؤتمر السوفييتي الثاني في العام 1917 إلى مصيرهم قائلا في إحدى خطبه الغاضبة "اذهبوا إلى حيث تنتمون من الآن فصاعدا أنتم في مزبلة التاريخ"، عبّر أنصار "سعيّد" عن رفضهم لنواب البرلمان وأرسلوهم إلى مزبلة التاريخ كمكان رمزي يليق بهم لأنّ البرلمان ليس مصبّا للنفايات.

وتنهض أدوات النفي، في شعارات مطالبة بالإبادة السياسية والاجتماعية لحزب النهضة "الإخواني"، من قبيل: "لا نريد خوانجية في تونس وليذهبوا إلى الجحيم" و"تونس الجديدة بدون الإخوان"، بوظيفتها الاستبعادية لتعبّر عن رفض الآخر والرغبة في تعجيل رحيله ("قريبا في تونس عيد وطني هو جلاء آخر إخواني من الوطن"). ويتمّ التعبير عن هذه الرغبة في رحيل "الإخوان" وحلفائهم بواسطة الصور، أيضا، كما يظهر في بوضوح في هذه الصورة (عدد 11):

الصورة عدد11

وينادي الخطاب صراحة، وباسم الشعب التونسي، بمحاسبة أشخاص بعينهم (الشعب التونسي يطالب باعتقال الغنوشي والبحيري وكل من تآمر على الدولة، الشعب يريد محاكمة الغنوشي، سيدخل الغنوشي السجن أحب من أحب وكره من كره...)

وتسفر الكراهية عن وجهها الإقصائي العنيف باستخدام الدعاء بالهلاك على الخصم ("اللهم خلّص بلادي من الأوباش"، "اللهم إن كان الغنوشي يريد شرّا بتونس فأهلكه وإن كان يريد خيرا فأهلكه أيضا الاحتياط واجب").

ويطعّم الدعاء بشيء من التهكّم كما تفصح عنه هذه الصورة (عدد 12) التي تقوم على التعارض بين الخطاب اللغوي المصاحب (نص الدعاء) والخطاب البصري (دلالة الصورة).

الصورة عدد 12

3.3 تحريض الكراهية وتغذيته الراجعة

تتأثّر التفاعلية في منصّات التواصل الاجتماعي بما تتضمّنه الرسالة من استمالات عاطفية. ولعاطفة الكراهية في منصّة فيسبوك تأثيرها المرتدّ على المستخدم باعتبارها خطابا منفّرا من الآخر. فاستثارة مشاعر المنخرطين، من خلال سردية المؤامرة وسردية الانحطاط القيمي والأخلاقي، من شأنه أن يحفّز خوفهم ويؤجج وقود غضبهم.

وبرصدنا لعمليات التفاعل عبر النقر والتعليق والنشر، استنتجنا أنّ خطاب الكراهية نجح في تحفيز المشاعر وإثارتها وتعبئتها في الاتجاه المرغوب فيه. ولاحظنا أنّ المستخدمين انساقوا مع سجلات الكراهية وتعبيراتها وتفوّقوا أحيانا على منتجي الخطاب في التعبير عن مقتهم للأطراف المعارضة، وذلك على الرغم من بعض الفروقات التي سجّلناها بين الفريقين المتقاطبين.

فالتفاعل مع المنشورات المحرّضة على الكراهية، في صفحة "كلّنا قيس سعيّد"، يكون أقوى من بقية المنشورات. وتطفح بعض التعليقات شماتة واستهزاء بما يحصل للمعارضين (احتراق مقر حركة النهضة بالعاصمة واعتقال أحد قادتها ووضعه تحت الإقامة الجبرية مثلا) ولعنهم والدعاء عليهم "اللهم أذلّهم كما أذلّوا الشعب" ومعايرتهم بعيوبهم الخلقية وشتمهم بأبشع الألفاظ.

وترتفع وتيرة التفاعل أيضا كلّما ألقى الرئيس خطابا أو أصدرا مرسوما أو قام بزيارة ميدانية، ممّا يدلّ على تأثير خطاب السياسيين في تغذية الاستقطاب والانقسام. ونستخلص من ذلك ما للخطاب السياسي المبني على التقسيم والتخوين وإدانة الخصوم من ارتدادات لدى أنصاره ومن قدرة الخطاب السياسي الانفعالي العدائي على الحضّ على الشتيمة والعنف اللفظي.

ويتمّ استخدام هذا النوع من الألفاظ، أيضا، في التعليقات المضادة التي تهدف إلى التشويش على الصفحات المعارضة للانقلاب ومهاجمة ما تنشره ضدّ "قيس سعيّد"، وهي تفوق عدد تعليقات المنخرطين في الصفحة في كثير من الأحيان.

وعلى الرغم من أنّ حجم التفاعل والنقر والمشاركة وتفعيل الوسوم الرافضة لل"انقلاب" كان أقوى في صفحة "تونس ضدّ الانقلاب" المعارضة ل"سعيّد"، إلّا أنّ منخرطي هذه الصفحات كانوا أقلّ تفاعلا بواسطة التعليقات مقارنة بالمنخرطين في صفحة "كلّنا قيس سعيّد". وكانت هذه التعليقات أقلّ حدّة في الحضّ على الكراهية وأقلّ لجوءا إلى العنف اللفظي، إلّا إذا تعلّق الأمر بالدخول في مشادّات كلامية مع أنصار "سعيّد" في التعليقات.

ويمكن أن نرجع ذلك إلى طبيعة الخطاب الذي يبثّه المشرف على صفحتهم، حيث بيّنا آنفا أنّه خطاب يستخدم الحجج ويتحصّن بالمضمر أكثر من استخدامه للتحريض المباشر. وقد يكون ذلك عائدا إلى الاختلاف في الفئة العمرية التي ينتمي إليها المستخدمين ومستواهم التعليمي، ولكننا في حاجة إلى دراسة اثنوغرافية لتأكيد صحّة هذه الملاحظة.

وهكذا، تحدث الكراهية طنينها ودويّها في نفوس جماهير تغذّت طيلة عشرية من عمر الثورة التونسية على الانقسامات والعنف السياسي.

4. خاتمة:

مكّننا التحليل المعجمي والحجاجي لمضامين صفحتي فيسبوك الداعمة والمعارضة للرئيس "سعيّد" من الوصول إلى ثلاث نتائج هامّة. تتعلّق النتيجة الأولى بمعاجم الكراهية في خطابي المناصرة والمعارضة، وهي معاجم تكشف عن الطبيعة الاختزالية التنميطية لخطاب الكراهية. ف"الكراهية تفترض دلالات مغلقة إنّها مصنوعة من معنى متخثّر" وهو "معنى لا يمكن اختزاله إلى دلالة"، على حدّ تعبير الفيلسوف" جون لوك نانسي" (Nancy, 2013)، تتجمّد فيه الهويّة الشخصية في قوالب جاهزة وتتكلّس فيه الكرامة الإنسانية تحت وطأة الرفض والرغبة في إبادة الآخر.

وتتمثّل النتيجة الثانية، في أنّ خطاب الكراهية ليس خطابا تحريضيا صريحا دائما، فأحيانا يكون التحريض مضمّنا داخل الخطاب تغلّفه الحجّة وتضمره الصورة. وهذا النوع من الخطاب يسمّيه كلّ من "بايدير" و"كوستانتينو" ب "خطاب الكراهية الخفيّ" discours de haine dissimulée الذي عرّفاه بأنّه " كلّ تجلّ دلالي أو سيميائي يمكن أن يحرّض ضمنيًا أو خفيًا على الكراهية و/أو العنف و/أو إقصاء الآخرين" (Constantinou, 2019) .وهو، بذلك، خطاب منفلت من رقابة تقنيات الذكاء الاصطناعي ويصعب على خوارزميات الفيسبوك الإمساك بمعانيه وكشف آلياته التحريضية قصد تحجيمه.

وهنا، يمكن اعتبار خطاب الكراهية فعل كلام سياقي يكون فيه السياق عاملا مهمّا في تحديد مدى انتساب عبارة أو منطوق ما إلى خطاب الكراهية. فكما يقول "آيدن وايت" مؤسس شبكة الصحافة الأخلاقيةEJN : "أحيانا ينضوي الخطاب على إشارات مرمّزة يفهمها أنصار المتحدّث ومتابعوه... وهنالك العديد من الأمثلة على خطابات تبدو في ظاهرها هادئة وغير هجومية لكنّها تستخدم لخلق خطاب كراهية وتحريض للآخرين على العنف". (4)

وأمّا النتيجة الثالثة، فتتمثّل في تأكيد فكرة أنّ التحريض على الكراهية في خطاب الصفحات الفيسبوكية ليس إلّا امتدادا لعبارات الكراهية وتصنيفاتها التي يستخدمها السياسيون في خطابهم السياسي، وقدرة هذا الخطاب على إعادة إنتاج بنية الكراهية ودفع في اتّجاه العنف اللفظي والردود العدائية التي تنحو أحيانا إلى التنمّر واستعمال الألفاظ البذيئة. وفي هذه الحال، يلعب السياسيون دور "محرّضي الجماهير" –الذين تحدّث عنهم "غوستاف لوبون"–والذين قد تغزو تحريضاتهم المؤثّرة كلّيا ساحة فهم الجماهير فتميل للتحوّل إلى فعل وممارسة وتتحوّل الجماهير، بالتالي، إلى حشود (لوبون، 2011، ص127).

ويبدو التفكير المنهجي حاجة ملحّة لمعالجة تغلغل خطاب الكراهية في مجتمعنا، ولعلّ التربية على المواطنة والمواطنة الرقمية وتطوير المهارات النقدية لدى المستخدمين لمواجهة خطاب العصبيات وتقييد "الجماهير المجنونة" يعدّ من أبرز الحلول حتّى لا يغدو العداء الحزبي والإيديولوجي ثقافة كراهية وحتّى لا تصبح "الميديا الاجتماعية" سببا من أسباب "تعطيل الانتقال الديمقراطي في العالم العربي"، بفعل ما أدّت إليه من مجتمعات مغلقة ذات تفكير متجانس مانع من الاندماج مع الآخر المختلف وتقبل المعلومات مع الآخرين إلّا إذا كانت بهدف السخرية أو الطعن، كما انتهى إلى ذلك أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية "مارك لينش". (Lynch, 2015, pp 90-99)

5. الهوامش:

(1) هذا المصطلح استخدمه أستاذ علم اجتماع الاتصال الرقمي في الجامعة اللبنانية "نديم منصوري" في حوار أجرته معه صحيفة الأهرام المصرية. أنظر: محمد القزاز، حوارات مواجهة خطاب الكراهية، صحيفة الأهرام، 17 ديسمبر 2021. على الرابط:
https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/836209.aspx

(2) الذباب الإلكتروني أو اللجان الإلكترونية هي مصطلحات تعبّر عن مجموعة من حسابات وسائل التواصل الاجتماعي التي تدار إما عن طريق برامج خاصة أو من قبل مجموعة من الأشخاص بهدف تكثيف نشر بعض المنشورات أو التغريدات من أجل التأثير على الرأي العام أو جذب الانتباه إلى فكرة مقابل التنفير من فكرة أخرى.

(3) تمّ إنشاء صفحة "كلنا قيس سعيد" بتاريخ 04 أوت 2021 ويبلغ عدد منخرطيها 340 k . أمّا صفحة "تونس ضد الانقلاب "، فقد أنشئت بتاريخ 28 جويلية 2021 ويبلغ عدد منخرطيها 227k إلى حدود شهر فيفري 2022 .

(4) تحوّل اهتمام الباحثين في الاتّصال السياسي بشكل متزايد في السنوات الأخيرة إلى نظرية "الاستدلال المحفّز" كإطار لفهم التعرض الانتقائي. وتعتقد هذه النظرية أنّ هناك هدفين محفّزين للناس عند بحثهم عن المعلومات: أهداف الدقّة التي تهيّئ الناس إلى الوصول الى استنتاجات صحيحة وأهداف اتّجاهية تحفّز الناس الى الوصول الى استنتاجاتهم المفضّلة. أنظر:

Lindita Camaj. From Selective Exposure to Selective Information Processing: A Motivated Reasoning Approach, Media and Communication, Volume 7, Issue 3, July 2019.

(5) حدّد "آيدن وايت" خمس نقاط لمساعدة الصحفيين على تحديد خطاب الكراهية ورصده قبل اتخاذ قرار بنشره لخّصها في الأسئلة التالية: من يكون المتحدّث؟ ما نطاق تأثيره؟ هل قصد الخطاب هو التحريض على الكراهية؟ ما طبيعة اللغة المستخدمة؟ ما السياق (الاجتماعي والاقتصادي والسياسي) الذي صدر في إطاره الخطاب؟ أنظر الرابط التالي:

UCAPAN KEBENCIAN - UJI COBA 5 LANGKAH UNTUK PARA JURNALIS (ethicaljournalismnetwork.org)

6. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

- حنا أرندت. *أسس التوتاليتارية*. (دار الساقي. بيروت. 2016)
- عادل مصطفى. *المغالطات المنطقية*. (المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2007)
- عبد الله الحيدري. زمن الذباب والعشائر الإلكترونية معارك الإثبات والإبطال في مجرة الذكاء الاصطناعي. *مجلة لباب عدد3*. أغسطس 2019.
- غوستاف لوبون. *سيكولوجيا الجماهير*. (دار الساقي. بيروت. 2011)
- غي غوتيي. *الصورة المكونات والتأويل*. (دار الساقي. الدار البيضاء- بيروت. 2012)

المراجع الأجنبية

- Boutyline, A. & Willer, R. The social structure of political echo chambers: variation in idéological homophily in online network. *Political Psychology*, 38(3). 2017.
- Boxell, Gentzkow, Matthew& Shapiro. (2017). *Is the internet causing political polarisation? Evidence from demographicss.* Récupéré sur SSRN: http://ssrn.com/ abstract=2937528
- Carothers, T. O'Donohue. *Democracies divided: the global challenge of political polarization.* (Brookings Institution Press. Washington. 2019)
- Charaudeau, P. *La Pathémisation à la télévision comme stratégie d'authenticité.* (Presses Universitaires de Lyon. Lyon. 2000)
- Constantinou, M & Baider, F. *Discours de haine dissimulée, discours alternatifs et contre discours.* SEMEN. 47. 2019 http://journals.openedition.org/semen/12275
- Dubois, E & Grant, B (2018). *The myth of the echo chamber*. Récupéré sur The Conversation: https://theconversation.com/the-myth-of-the-echo-chamber-92544
- Flaxman, S.Sharad & Justin. Filter bubbles, echo chambers and online news consumption. *Public Opinion Quarterly*, Volume 80. Issue S1. 2016.
- Goffman, E. *Stigma: notes on the management of sploiled identity.* (Simon Schuster. New York. 1963)
- Kahan, D. M. *Misinformation and identity-protective cognition*. Yale Law & Economics Research Paper No. 587. 2017. Récupéré sur SSRN: https://dx.doi.org/10.2139/ssrn.3046603

- Lyengar, S. Sood, G & Lelkes, Y. Affect, not ideology: a social identity perspective on polarization. *Public Opinion Quarterly*, 76. Issue 3. 2012.
- Lynch, M. (2015). After the arab spring: how the media trashed the transitions. *Journal of Democracy*. Vol 26. No 4.2015
- Modgil, S. G. Confirmation bias view on social media induced polarization during Covid-19. *Inf Syst Front*, November 20. 2021. https://doi.org/10.1007/s10796-021-10222-9
- Nancy, J. L. (2013). *Lahaine, le sens coagulé.* Récupéré sur Conseil de l'Europe: http://www.coe.int/.../1433458/Jean-Luc+Nancy+ LA+HAINE.pdf/
- Papacharissi. *Affective publics, sentiment, thechnology and politics.* (Oxford University Press. New York .2015)
- Piazza, J.A. Politician hate speech and domestic terrorism. *International Interactions*. 46:3. 2020
- Törnberg, P. Anderson, C. Lindgren, K & Banish S (2021). *Modeling the emergence of affective polarization in the social media society*. Récupéré sur PLOS ONE: https://doi.org/10.1371/journal.pone.0258259